الواقع الاقتصادي للعرب قبل وأثناء البعثة

د. مفاز صلاح عبد القادر

كلية التربية للبنات

Arab economic reality before and during the mission

Mafaz salah abd alqader
education for women

ملخص البحث

تقوم فكرة البحث على تسليط الضوء على واقع العرب الاقتصادي قبل واثناء البعثة من خلال الاستشهاد القراني لواقع العرب انهم كانوا اهل حضارة لذا تم اختيارهم بان يختم الدين بهم، ولذا اقتضى المقام الى تقسيم البحث الى ثلاث مباحث ، تناولت في المبحث الاول معنى كلمة العرب وبيان اصنافهم والدليل القراني على استخدام ذلك المصطلح ،اما المبحث الثاني فقد تحدثت فيه عن نماذج من معايش العرب، وتناولت في المبحث الثالث واقعهم الاقتصادي.

Summary of economic reality research

The idea of the research is to shed light on the economic reality of the Arabs before and during the mission through the Qur'anic martyrdom of the Arab reality that they were people of civilization and therefore they were chosen to conclude the religion with them. Therefore, it is necessary to divide the research into three fields. The first topic dealt with the meaning of the word " And the Quranic evidence on the use of that term, while the second section I talked about models of Arab living, and dealt in the third topic economic reality.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأتم الصلاة والتسليم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبه اجمعين، وبعد.من الغريب إننا لا نجد في كتب التأريخ أو السير وصفاً دقيقاً لواقع العرب قبل البعثة، ولم نجد من يتحدث عنهم بأنهم كانوا أهل حضارة ومدنية، ويكفيك أن تعلم – أخي القارئ – أن فجر الاسلام ما هو إلا جزء من سلسلة أجزاء قام على أساسها هذا الدين الحنيف.فوفرة الموارد عند العرب وحسن استثمارها واقع حي تشهد حركته في كل مفصل من مفاصل الحياة، لذا أختار الحق جل وعلا أن يكون آخر عهد الدين في أمة العرب، وأن يستبدل مشعل الهداية من بني اسرائيل الى اهل الحنفية السمحاء، فالمقومات البشرية والاستعداد الذاتي في العرب كان استراتيجية إلهية لتمام ذلك الأمر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[1].والذي يهمنا في البحث واقع العرب الاقتصادي، قبل وأثناء البعثة وسأتحدث بواقع قرآني شهد له الحق جل وعلا في كل حركاتهم وسكناتهم... لذا تطلب مني تقسيم العمل الى ثلاثة مباحث، ناقشت في المبحث الأول: ماهية مصطلح كلمة العرب، أما المبحث الثاني: فتطرقت الى نماذج من معايش العرب، وكان المبحث الثالث: هو لوصف واقع العرب التجاري.أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وأن ينفع به المسلمين.

المبحث الأول
ماهية كلمة (العرب)

المطلب الأول- مدلول كلمة العرب لغة واصطلاحاً.

المقصود بالعرب سكان المنطقة الواسعة الذين أعطوها اسمهم فصارت تُعرف ببلاد العرب[٢]، واختلف علماء اللغة في مدلول هذه الكلمة الاصطلاحي من حيث اللفظ ومصدر الاشتقاق، وعلى الرغم من كثرة التفسيرات اللغوية، نذكر من بينها ما يلي:

– التزم الكُتَّاب العرب الأوائل عند دراستهم تفسير كلمة عرب، بمنهجهم التقليدي في علم الأنساب، فالعربية منسوبة الى يعرب بن قحطان، مشتقة من اسمه، فهو أول من أعرب في لسانه، وتكلَّم بهذا اللسان العربي[٣]، وتعلَّمها إخوته وبنو عمومته منه، وكانوا قد تركوا بابل ليقيموا بجواره في اليمن، وهؤلاء هم القحطانيون. ويذكر العدنانيون أن أول من تكلم بالعربية الخالصة، الحجازية التي أُنزل عليها القرآن، وهو إسماعيل بن إبراهيم وكان عمره آنذاك أربع عشر سنة، وهو جدُّ العرب المستعربة[٤].

– إن كلمة عرب مشتقة من الفعل يُعرب؛ أي: يُفصح في الحديث، وأصبحت تدل على العرب كجنس لفصاحتهم في اللسان، فيقال: رجل معرب إذا كان فصيحاً، ورجل عربي اللسان إذا كان فصيحاً[٥].

– سُمي العرب عرباً نسبة إلى بلدهم العربات، وعربة هي مكة، وباحة العرب، ودار أبي الفصاحة إسماعيل بن إبراهيم. وقال الكُتَّاب: "وأقامت قريش بعربة فتنخَّت بها، وأنتشر سائر العرب في جزيرتها، فنُسبوا كلهم إلى عربة؛ لأن أباهم إسماعيل بن إبراهيم، نشأ وربَّى أولاده فيها، فكثروا، فلما لم تحتملهم البلاد انتشروا، وأقامت قريش بها[٦].

– إن كلمة عرب مشتقة من أصل سامي قديم بمعنى الغرب. فقد أطلق سكان بلاد ما بين النهرين اسم عربيي على الأقوام الذين كانوا يقيمون في البادية الواقعة إلى الغرب من بلادهم، وهي بادية العراق والمسماة بهذا الاسم[٧].

المطلب الثاني- مدلول كلمة (العرب) في القرآن الكريم.

قد يكون من البدائه ان يقال أن أكثرية سكان الحجاز عربية. ومع ذلك فإن مما لا يخلو من فائدة ان نذكر ان هذه الحقيقة مما تضمنت النصوص القرآنية تقريره، فقد كررت الآيات كلمة (العربي) في صدد تقرير لغة القرآن، وقررت ان الرسول الذي يرسله الله إنما يرسله بلسان قومه، وان الله إنما

نزل القرآن عربياً لقوم يعلمون، ولينذر به أم القرى ومن حولها، وإنه يسره بلسانه لعلهم يتذكرون به، كما ترى في الآيات التالية:

- (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[٨].
- (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ)[٩].
- (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[١٠].
- (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {١٩٣} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ {١٩٤} بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)[١١].
- (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[١٢].
- (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)[١٣].
- (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[١٤].فهذه الآيات كما ترى تقرر صراحة وضمناً ان القوم الذين أرسل الله إليهم النبي ﷺ عرب وانه منهم.على أن هناك شيئاً مهماً نحب ان نضيفه الى بديهة عروبة أكثر أهل الحجاز وهو ان هذه الجنسية العربية لم تكن شيئاً قاصراً على أهل الحجاز بل كانوا من ضمن كيان عام عربي الجنس مستقر المدى في عصر النبي ﷺ يشعر به العرب أنفسهم، ويشعر به غير العرب من الأمم المجاورة لجزيرة العرب ويعرفونه، ويشتمل على أهل الجزيرة العربية أولاً بما فيهم أهل الحجاز، وثانياً على العرب الذين هم في أطراف الجزيرة الشمالية أي في البلاد الشامية والعراقية، حيث كان فريق منهم غادياً ورائحاً، وفريق آخر مستقراً، وفريق بادياً يسكن بوادي الشام والعراق وفريق متحضراً يسكن المدن والقرى، ويتمتع بالملك والسلطان، ووسائل الحياة الناعمة المترفة، ولهم الصلات القوية البارزة مع الساسانيين في العراق وبلاد الفرس والرومانيين في الشام. وفي القرآن ما يمكن الاستناد إليه في تأييد هذا الذي نقرره.ففيه آيات ذكرت فيها كلمتا (قوم) و (أمة) موجهتين الى قوم النبي ﷺ وامته وهم العرب كما ترى في ما يلي:

- (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)[١٥].
- (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ)[١٦].
- (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ)[١٧].

– (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ)[١٨].وإذا قيل ان كلمتي "قوم" أو "امة" قد لا يفيدان معنى الكيان العام الشامل للجنس العربي لا سيما في ذلك العهد، ولأنهما قد توجهان الى قبيل أو جماعة أو ملة أو أهل بيئة ما، وأن الآيات قد عنت أهل مكة.ففي القرآن تأييد آخر وذلك هو الآيات التي وردت فيها كلمات الاعجمي مطلقة على غير العربي، وهو التفريق الذي جرى عليه الاستعمال بصورة واسعة وعامة بعد الاسلام، بحيث اعتبر كل ما هو غير عربي جنساً ولغة أعجمياً، وفي سورة النحل آية في هذا الصدد وهي:(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)[١٩]. فاستعمال هذا التعبير في المعنى الذي أشرنا إليه في آيات مكية والآيات – جميعها مكية – دليل على أن هذا الاستعمال وهذا المعنى كانا شائعين مفهومين قبل البعثة، وشيوعهما برهان قوي على استقرار معنى اسم (الامة العربية) أو (الجنس العربي) وشموله لمن كان يتكلم باللغة العربية في الجزيرة، ولمن ينتسب اليها ويتصل بها في المنشأ والانساب والارحام من العرب الذين كانوا في أطراف الجزيرة ومهاجرها حتماً وسواء منهم المتحضرون أو البدو.وإذا كان ليس في الامكان تحديد وقت هذا الاستقرار في فهم العرب وغير العرب كون العرب امة أو جنساً واحداً فإننا لا نشك بأنه يرجع الى زمن غير قصير قبل البعثة؛ لأن تعبير "العرب". إذا كان أطلق في أول الأمر على بعض قبائل العرب في بعض مساكنهم فإنه لا يمكن أن يكون قد أصبح تسمية عامة شاملة لكل العرب، ومفرقة لهم عن الاعاجم – غير العرب – كما جاء في القرآن قبل نزوله بمدة طويلة.هذا: ونريد أن نبحث في موضوع قرآني يتصل بأصل سكان بيئة النبي ﷺ. ففي القرآن آية مكية فيها إشارة الى حادثة اسكان ابراهيم عليه السلام بعض ذريته في منطقة البيت الحرام أي مكة؛ وفيه كذلك آيات تحتوي إشارة الى حادثة بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الكعبة، وفيها دعاؤهما بجعل البيت آمناً وبجعل ذريتهما أمة مسلمة، وببعث رسول بينهم إليهم مما يقوم قرائن قوية على أن المقصود بالدعاء هم العرب وهي هذه:(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ {١٢٥} وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {١٢٦} وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {١٢٧} رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {١٢٨} رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)[٢٠].

وفيه آية توجه الخطاب الى المسلمين الذين كانوا آنذاك هم العرب من بيئة النبي (صلعم) فقط تذكر إبراهيم عليه السلام بصفته أبيهم وهي هذه:(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)[٢١].هذا عدا ما فيه من آيات كثيرة أخرى عن صلة ابراهيم عليه السلام

بالكعبة وتقاليد الحج وملته ومواقفه لم ترد في التوراه.وأسلوب الآيات القرآنية مما نقلناه وما سوف ننقله يلهم أن محتوياتها ليست غريبة المعنى والموضوع على اسماع الذين تتلى عليهم، وتسوغ القول أن أهل بيئة النبي ﷺ كانوا يعرفون انهم ينتسبون بالابوة الى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ويتداولون ذلك جيلاً بعد جيل، وان ما قاله بعضهم من أن ذلك إنما كان من تقريرات قرآنية مدنية وبعد احتكاك النبيﷺ باليهود هو قول جزاف، ولعل من الأدلة الحاسمة على هذا ذكر القرآن مقام إبراهيم وبيناته في البيت الحرام، لأن هذا متصل بما كان معروفاً ومتداولاً بين العرب قبل نزوله.ولسنا نعني نفي احتمال كون اليهود هم المصدر الأول لما كان يتداوله العرب من قضية انتسابهم بالنبوة الى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فنحن نرجح هذا؛ لأن التوراة هي أقدم مدونة ذكرت ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وفيها قصة ولادة اسماعيل عليه السلام وطرده مع امه الى فاران كما فيها قصة نمو ذرية اسماعيل وانتشارها، وتسميتهم بالاسماعليين، وفيها قرائن في مناسبات عديدة على أن العرب كانوا ممن تعنيهم هذه التسمية أيضاً، وإنما الذي ننفيه القول بأن القرآن لم يقرر نسبة بنوة العرب لإبراهيم واسماعيل عليهما السلام ونسبة بنوة اسماعيل لإبراهيمعليه السلام ونسبة صلتهما بالكعبة والحج إلا بعد الهجرة وبعد اتصال النبي ﷺ باليهود لأن هذا القول يعني أن العرب كانوا في جهل من ذلك قبل البعثة. ويستدل بعضهم على هذا بأن القرآن المكي ظل يذكر ابراهيم واسحق ويعقوب معاً دون اسماعيل وظل يذكر اسماعيل منفرداً عنهم. وقد يكون هذا صحيحاً بعض الشيء. حيث ذكر القرآن المكي ابراهيم واسحق ويعقوب معاً وذكر اسماعيل منفرداً عنهم في مواضيع عديدة منها ما يلي:

- (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {٨٤} وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ {٨٥} وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)[٢٢].

- (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا {٤٩} وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا {٥٠} وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا {٥١} وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا {٥٢} وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا {٥٣} وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا {٥٤} وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا)[٢٣].

- (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ)[٢٤].

- (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)[٢٥].

– (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ {٤٥} إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ {٤٦} وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ {٤٧} وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ)[٢٦].غير أن هذا لا ينطوي على نفي نسبة اسماعيل الى ابراهيم من جهة وهو على الارجح بسبيل ذكر شجرة نسب بني اسرائيل وحسب من جهة أخرى. فلما اقتضت حكمة التنزيل حكاية حادث اسكان ابراهيم ابنه في وادي مكة تضمنت الآيات المكية النازلة في ذلك ذكر كون اسماعيل واسحق هما ابناء ابراهيم كما ترى في آيات سورة ابراهيم المكية بدون خلاف هذه:(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ {٣٥} رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {٣٦} رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ {٣٧} رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء {٣٨} الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء)[٢٧].ونقول من باب المساجلة ان سفر التكوين من أسفار العهد القديم كان متداولاً بين يدي اليهود والنصارى. وكان في مكة يهود ونصارى يقرأونه. فليس محل للقول أن النبي والعرب في مكة لم يكونوا يعرفون نسبة اسماعيل الى ابراهيم بالنبوة قبل البعثة أو قبل الهجرة. ولا يقول بهذا أحد فيه عقل وروية.ومحصل ما تقدم أن القرآن يقرر الصلة الأبوية بين العرب الحجازيين وبخاصة أهل مكة الذين كانوا أول من خوطبوا به وبين اسماعيل.

المطلب الثالث- اصناف العرب.

صنَّف معظم علماء الانساب والإخباريين الشعوب العربية في طبقتين: بائدة وباقية[٢٨]. ويُعنون بالبائدة، القبائل العربية القديمة التي كانت تعيش في جزيرة العرب ثم بادت قبل الاسلام، وانقرضت أخبارها بفعل عاملين:

الأول: تغيُّر المعالم الطبيعية الناتج عن الرمل الزاحف الذي طغى على العمران القديم في أواسط الجزيرة العربية وفي الأحقاف في الجنوب.

الثاني: ثورات البراكين وما ترتَّب عليها من تدمير المدن[٢٩].ويُطلق على هذه الطبقة اسم العاربة إما بمعنى الرساخة في العروبية أو المبتدعة لها بما كانت أول أجيالها، وتُسمى البائدة أيضاً بمعنى الهالكة؛ لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلها. إنهم مادة العرب وأرومتها. وأقدم طبقاتها وأول من تكلم بالعربية[٣٠]، وهؤلاء القبائل هم: عاد، ثمود، عمليق (العمالقة)، طسم، جديس، أميم وجاسم، وقد يُضاف غليهم أحياناً، عبيل، جرهم الأولى ودبار، ويرجعون بنسبهم إلى سام بن نوح[٣١].واما العرب الباقية الذين يُسمون أيضاً بالمعتربة والمستعربة فهو بنو يعرب بن قحطان، وبنو معد بن عدنان بن أد، الذين أخذوا اللغة العربية عن العرب البائدة. وقد تعرَّب قحطان

وجماعته عندما نزلوا اليمن، واختلطوا بالناس هناك، وفي رواية بأن يعرب كان يتكلم السريانية، فانعدل لسانه الى العربية، فتعرَّب[٣٢]. إنهم العرب الباقون الذين يشكّلون جمهرة العرب بعد هلاك الطبقة الأولى، وهم الذين كُتب لهم البقاء، وينتمي إليهم كل العرب الصرحاء عند ظهور الإسلام، ويرجعون بنسبهم الى سام بن نوح.وهناك تقسيم آخر يُصنِّف العرب الى ثلاث طبقات: العرب البائدة، والعرب العاربة، والعرب المستعربة، ويُطلق على الطبقتين الأخيرتين اسم العرب الباقية.

فالعرب العاربة هم الذين انحدروا من نسل قحطان أو يقطان، كما ورد في العهد القديم[٣٣]، وهو أول من تكلم العربية، إنهم العرب ذو الأصالة والقدم. وهؤلاء هم القحطانية من حمير وأهل اليمن وفروعها الذين يمثلون أهل جنوب بلاد العرب، في مقابل العرب المستعربة، وهم المعديون الذين انحدروا من ولد معد بن عدنان بن أد، وسكنوا نجد والحجاز والشمال وينحدرون من اسماعيل بن ابراهيم، ولم يكونوا عرباً فاستعربوا، وسموا بالمستعربة؛ لأن اسماعيل عندما نزل مكة كان يتكلم العبرانية أو الآرامية أو الكلدانية، فلما صاهر اليمنية تعلَّم لغتهم العربية[٣٤].ويقسم ابن خلدون العرب الى أربع طبقات متعاقبة في المدى الزمني: العرب العاربة وهم البائدة، ثم العرب المستعربة وهم القحطانية، ثم العرب التابعة لهم من عدنان والأوس والخزرج والغساسنة والمناذرة، ثم العرب المستعجمة وهم الذين دخلوا في نفوذ الدولة الاسلاميسة، وعلى الرغم من أنه يتردَّد في إخراج القحطانية من العرب العاربة «وربما يُقال: إن من العرب العاربة يقطن (أي قحطان) أيضاً»، فإنه في تقسيمه العام للعرب في طبقاتهم المختلفة يضع القحطانية في الطبقة الثانية من العرب وهم المستعربة الذين اصطنعوا اللسان العربي.والواقع أن هذا التقسيم بين العرب العاربة والعرب المستعربة مرده ما ورد في العهد القديم، وقد نهل منه من عُني بأخبار بدء الخلق، ثم اتفق النسابون والإخباريون على تقسيم العرب من حيث النسب الى قسمين: قحطانية: منازلهم الأولى في اليمن، وعدنانية: منازله الأولى في الحجاز[٣٥].وإذا جاز لنا أن نوافق الإخباريين بتقسيم العرب إلى بائدة وباقية؛ لأن هذا التقسيم هو واقع معروف لدى العلماء ولدى العامة أيضاً إلا أننا نجد مبرراً في إطلاق وصف عرب خُلَّص على قسم من العرب، وعرب غير خُلَّص على قسم آخر، وبخاصة أن جميع المصادر تُرجع أصل جميع العرب بشقيهم البائدة والباقية، إلى سام بن نوح[٣٦].لم يفرق القرآن الكريم بين العرب في طباقتهم، ويشير الى أنهم ينحدرون من جد واحد هو اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام، أبو العرب «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ.....»[٣٧].

كذلك، لم يرد في الشعر الجاهلي ما يشير الى تقسيم العرب الى قحطانية وعدنانية سوى أبيات قيلت في التفاخر بقحطان أو بعدنان، ثم إن هذا الشعر لا يرقى إلى عصر الجاهلية الأولى؛ لأن معظمه قيل قبيل الإسلام، كما أن علماء الأجناس لم يلاحظوا فروقاً جثمانية بين القحطانيين

والعدنانيين[٣٨].ولم يظهر هذا الانقسام في حياة النبي ولا خلال عصر صدر الاسلام، الخلفاء الراشدين، وإنما برز في العصر الأموي من واقع النزاع الحزبي وبعد شيوع نظرية العهد القديم في الأنساب واستناد النسابين في رواياتهم إلى أهل الكتاب[٣٩]، والراجح أن أصل العداء مرده إلى النزاع الطبيعي بين البداوة والحضارة.سنتجاوز في هذه الدراسة تاريخ الشعوب العربية البائدة التي أشارت إليهم الروايات العربية القديمة وذكر القرآن الكريم قصص بعضهم، ملتزمين بتحديد الموضوع في تاريخ العرب قبل الاسلام على الشعوب العربية الباقية داخل الجزيرة العربية وخارجها في المدة القريبة من ظهور الإسلام ليتناسب عنوان الدراسة مع مضمونها، آملين بأنّا لا نخرج عن الهدف الذي يُبرِّر ذلك، وحتى لا نتجرأ على الدخول في ميدان بعيد جداً عن مرحلة الجاهلية القريبة من العصر الإسلامي، مع إبداء ما يلي:

- إن المعلومات المتوافرة عن العرب البائدة قليلة جداً وتكاد تكون نادرة، وبخاصة تلك المتعلقة بالقبائل التي بادت تماماً وانقرضت ولم يبق من آثارها شيء يدل على وجودها أو إنجازاتها.
- عن الأشخاص القلائل الذين نجَّاهم الله من هذه القبائل البائدة بفضل صلاحهم، اندمجوا في جماعات أخرى لم ينالها العذاب ولا تعرَّضت للانقراض، وقد شكَّلوا معهم مجتمعاً جديداً.
- إن بعض الشعوب العربية البائدة كان على درجة عالية من القوة والجبروت والتقدُّم الحضاري الذي يشهد عليه ما خلَّفوه من آثار لا تزال باقية وذكرها القرآن الكريم مثل قوم عاد وقوم ثمود، ومن المؤكد أن عادات هذه الأقوام وتقاليدها قد اندثرت ولم يبق منها شيء على الإطلاق، والراجح أن الأشخاص الذين نجوا، تجنَّبوا عادات قومهم وأساليب حياتهم، ولم يحملوا معهم من الماضي إلا النذر اليسير الذي لا يُشكِّل قيمة حضارية، وبذلك توقَّف تاريخهم.
- شكَّل الأشخاص الذين نجوا من الكوارث والعذاب وتبعوا في المدى الزمني الأقوام الذين اندمجوا في منظومتهم الاجتماعية، الأقوام العربية الباقية التي عمرت الأرض وأنتجت الحضارة الجديدة والتي لا تزال موضوع اهتمامات الباحثين ودراساتهم[٤٠].

المبحث الثاني
نماذج من معايش العرب

المطلب الأول- الزراعة.

بالنسبة للاعمال الزراعية في المناطق التي جادت تربتها وغزرت مياهها، والجنات المعروشات، والحدائق البهجة، وأنواع الأشجار من أعناب ونخيل وزيتون ورمان وفواكه، وحب الحصيد، والزرع ذي الحب المتراكب الخ.... تدل على أن أهل تلك المناطق قد ضربوا بحظ غير يسير في الأعمال الزراعية والتفنن فيها، وانهم لم يكونوا في هذا المجال في الطور البدائي الذي

يكون قاصراً على الزراعات الموسمية الساذجة.وفي القرآن آيات تحتوي أوصافاً تتصل بالأعمال الزراعية ونتاجها وأنواع غلاتها وأن تكن وردت في معرض التشبيه والتمثيل والأخبار فأنها يمكن ان تضاف الى تلك الأوصاف وأن يستدل بها على أن أهل المناطق الزراعية في الحجاز قد كانوا متقدمين أشواطاً غير قصيرة في مجال الأعمال الزراعية وأنهم شاهدوا وألفوا ومارسوا هذه الأوصاف والأسماء، كما ان وجودها في اللغة العربية القرآنية التي هي لغة بيئة النبي ﷺ الخاصة بنوع خاص دليل على ذلك في حد ذاته، حيث أن جميع ما جاء في القرآن من أسماء وأوصاف ومصطلحات ومعربات كان مألوفاً معروفاً قبل نزول القرآن.وإليك هذه الآيات:

- (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا.....)[٤١].
- (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ.....)[٤٢].
- (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ.....)[٤٣].
- (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا.....)[٤٤].
- (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاء فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ.....)[٤٥].
- (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا {٣٢} كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا)[٤٦].فجنات الأعناب التي تكون محفوفة بالنخيل ويكون في ذات الوقت زروع أخرى بينها، والجنات المعروشات، والحدائق ذات البهجة، وتنوع الأشجار المثمرة ومنها الزيتون والرمان والنخيل والأعناب والطلح – وهو الموز– والفواكه الاخرى التي ذكرت دون توضيح والزروع الموسمية التي تغل أنواع الحبوب والبقول والخضار وكل هذا قد ورد في الآيات التي أوردناها. يمكن أن يقوم برهاناً على ذلك الحظ غير اليسير الذي كان لأهل تلك المناطق في الأعمال الزراعية المتنوعة. ولابد من أن هذه المناطق كانت تمون مكة والمدن والقرى الأخرى التي لا تستطيع توفير حاجتها الغذائية بنفسها بسبب جدب التربة وشح المياه، كذلك فإنه لابد من أن سكان البادية كانوا يتناولون من هذه المناطق ماهم في حاجة إليه من غذاء ولاسيما التمر، وقد لاحظ القاريء من دون ريب كثرة ذكر النخيل في الآيات مما فيه دليل وتأييد معاً.ولقد كان للجاليات اليهودية التي استقرت في الحجاز ولاسيما في يثرب ونواحيها، وكذلك للأسفار التي كان يقوم بها أهل الحجاز الى بلاد الشام أثر

غير يسير في هذا النشاط والتفنن الذي كان يبدو في مناطق الحجاز الزراعية. فبلاد الشام جيدة التربة، وفيرة المياه، متنوعة المناخ، تصلح لشتى الأنواع الزراعية، وقد كانت متقدمة في الحضارة والعمران على الحجاز، ومن المعقول أن يكون التفنن بلغ فيها درجة عالية. واليهود جاؤوا الى الحجاز منها على الأرجح بخبرتهم وممارستهم، فامتلكوا الأرضين وعمروها، وتفننوا في الأعمال الزراعية فيها بما كان لهم خبرة ومران. وقد أشارت آيات قرآنية نقلناها سابقاً الى ما كان لليهود في يثرب وحواليها من أرض وقرى وأموال ونخيل أفاءها الله في النهاية على رسوله. ولا نستبعد أن اليهود كانوا يستأجرون بعض العمال العرب، وأنه نشأ مع الزمن طبقات من العمال الزراعيين كان لهم أثر في النشاط الزراعي في الحجاز وخاصة في منطقة يثرب، ولا نستبعد أن يكون كبار المزارعين العرب قد استحضروا بعض الخبراء والعمال الزراعيين من بلاد الشام والعراق واستخدموهم[٤٧] في أراضيهم ومنشآتهم الزراعية، وان يكون تعلم العرب منهم فنونهم أو بعضها، هذا بالإضافة إلى ما يكون أصحاب الأرض والأغنياء العرب قد اقتبسوه بأنفسهم سواء في أسفارهم الى بلاد الشام ومصر والعراق واليمن، حيث كانت هذه البلدان تعنى بالزراعة وتتفنن فيها، أو في ما رأوا اليهود بين ظهرانيهم قد فعلوه واختطوه، فكان من كل هذا تلك الصورة التي تلهمها الآيات القرآنية للنشاط الزراعي في عصر النبي ﷺ وبيئته.

المعاملات المتصلة بالزراعة: مارس الجاهليون بعض أنواع المعاملات المتصلة بالزراعة، وهي ذات تنظيم دقيق ومتقن، وتُبرز الزراعة في بلاد العرب كمورد اقتصادي أساسي من موارد الإنتاج، ومن بين هذه المعاملات على سبيل المثال: **المحاقلة:** استئجار الأرض الزراعية لقاء مبلغ من المال، قد يكون عيناً، كثلث المحصول أو ربعه، وقد يكون نقداً، ذهباً أو فضة[٤٨]. **المزارعة:** الاتفاق على أن يزرع شخص أرض شخص آخر لقاء نسبة معينة من المحصول يدفعها المستأجر عند القطاف أو الحصاد، كالثلث أو الربع مثلاً، على أن تكون البذور من مالك الأرض.

المخابرة: على نمط المزارعة ولكن تكون البذور على عاتق المستأجر أو المزارع، وتكون على النصف[٤٩]. **المساقاة:** هي اتفاق بين صاحب الأرض أو ملتزم الأرض وبين صاحب الماء يتعهد فيه الأخير بتوصيل الماء إلى أرض الأول مقابل جزء من المحصول، الثلث أو الربع أو نحوه[٥٠].

القصارة: الاتفاق على ما يبقى في السنابل من حب بعد ما يداس، فأحياناً يكون من نصيب الذاري وأحياناً أخرى من نصيب صاحب الزرع[٥١].

المخاضرة: وهي أن يبيع المالك ثمار بستانه قبل أن تنضج، ربما للتخلص من معاملات جني الثمر أو حراسته أو حمله إلى الأسواق وبيعه وتخزينه، مع ما يحيط ذلك من مخاطر ومشقة وعناء. وسميت المخاضرة لأن المتبايعين تبايعاً شيئاً أخضر بينهما، يدخل فيه بيع الرِّطاب والبقول وأشباهها[٥٢]. أثارت المخاضرة على مدار التاريخ نزاعات بين الأطراف المتعاقدة ناتجة عما قد

يصيب المحصول أو بعضه من تلف قبل نضجه، ما يُفقد الشاري لهذا المحصول ربحه أو جزء منه، فيطلب فسخ العقد واسترجاع ما دفعه من مال لصاحب الأرض[٥٣].وتضمَّنت بعض أنواع المعاملات أو العقود المتعلقة بالأرض المزروعة لمدة معينة شروطاً منها: أن يكون للمالك الحق في فسخ العقد وإبطال مفعوله إذا تبيَّن أن المستأجر تباطأ في استغلال الأرض أو أهملها أو قام بأعمال تُسيء إليها وتضرُّ بالإنتاج الذي يكون للمالك نصيب فيه.

المطلب الثاني- الصناعة.

شكلت الصناعة ومايتصل بها من معاملات مورداً معايشاً آخر لسكان الجزيرة العربية، وتطورت الحرف وأُدخلت عليها تقنيات ووسائل الهدف هو تحسين جودة المنتج وزيادة عدده، فنجد في القرآن الكريم عشرات الآيات التي تدل على هذا الواقع الصناعي للعرب من خلال ذكر المساكن والغرف والحجرات والابواب والسقوف والقواعد والأثاث المتنوع والفرش والبطائن، والأواني الفخارية منها والزجاجية والمصابيح والحلي والزينة مما يخرج من الجراد ليُستخرج من الأرض والخيام والجلود والحرير والرماح والسلاسل والاغلال والاقلام والقرطاس والمعادن والفخار.....الخ، وسأضرب الامثلة من القرآن الكريم استدلالاً على ذلك.قال تعالى:

- (فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ.....)[٥٤].
- (لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ.....)[٥٥].
- (اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء.....)[٥٦].
- (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ.....)[٥٧].
- (وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ.....)[٥٨].
- (تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا.....)[٥٩].
- (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ.....)[٦٠].
- (وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا.....)[٦١].
- (فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ.....)[٦٢].
- (وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا.....)[٦٣].
- (وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ)[٦٤].
- (جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ.....)[٦٥].

- (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ.....)[٦٦].
- (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)[٦٧].
- (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ.....)[٦٨].
- (وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ)[٦٩].
- (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ)[٧٠].
- (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ.....)[٧١].
- (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ....)[٧٢].
- (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ.....)[٧٣].
- (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)[٧٤].
- (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[٧٥].
- (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ.....)[٧٦].
- (أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ.....)[٧٧].
- (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ.....)[٧٨].
- (غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ.....)[٧٩].
- (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ)[٨٠].
- (لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ {٣٣} وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ)[٨١].
- (يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ.....)[٨٢].
- (مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ.....)[٨٣].

- (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)[٨٤].
- (وَالطُّورِ {١} وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ {٢} فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ {٣} وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ {٤} وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ)[٨٥].
- (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) [٨٦].
- (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)[٨٧].
- (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ)[٨٨].
- (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ....)[٨٩].
- (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ.....)[٩٠].
- (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ)[٩١].وبعد هذا الأستعراض سأضرب نماذج للحرف التي كانت سائدة آنذاك:

١. التعدين: يُعد التعدين من المهن الأساسية التي احترفها العرب الجاهليون، فلقد كانت الجزيرة العربية مصدراً للعديد من المعادن منها الذهب والفضة والرصاص في اليمن والحديد والملح والاحجار الكريمة والكبريت والشب ومن اخلاط الجير.....الخ[٩٢].
٢. صناعة الغزل والنسيج: فلقد انتشرت في معظم أرجاء الجزيرة العربية تلك الصنعة تلبية للطلب المتزايد، كالثياب والبسط والستور وغيرها[٩٣].
٣. الصناعات الجلدية: فدبغ الجلود رائج في تلك البقاع لسد حاجات ومتطلبات الزراعة كالدلاء وغيرها، وسد حاجات الناس كالنعال وغيرها[٩٤].
٤. صناعة الأصباغ والعطور.
٥. صناعة النجارة الخشبية.
٦. صناعة الفخار والأواني الفخارية.
٧. صناعة الأواني الزجاجية.
٨. صناعة السُفن.
٩. صناعة المواد الغذائية.

المطلب الثالث- الأسواق.

قامت التجارة المحلية في الجزيرة العربية بفضل الأحلاف والأشهر الحرم وغيرها من المؤسسات السابقة للإيلاف، وقد حسَّنت الأوضاع الاقتصادية، وزادت الشرائية لدى القبائل، وأشاعت الأمن والسلام، فنشطت الأسواق، وأقبل الناس بكثرة على المواسم التجارية. وكانت تجارة

المقايضة بين القبائل، تجري في مواسم الحج، وكانت تجمع مواقيت الأسواق ومواقيت الحج تسمية واحدة هي المواسم[٩٥].أقام العرب لهذه التجارة أسواقاً عديدة في مناطق الجزيرة العربية كافة، لعرض السلع وجميع المواد التجارية وبيعها، فصار لهم أسواق في كل مدينة وقرية، كما خصَّصوا لبعضها مناطق محددة لإقامتها. وتحوَّلت المدن التي تقع على طرق التجارة البرية والبحرية الى محطات للقوافل والمسافرين، وإلى أسواق للبيع والشراء، لكن هذه الأسواق كانت تُقام فقط في أوقات وصول القوافل إلى تلك المحطات، فيقصدها الناس من تجار ومستهلكين، فيتبادلون عروض التجارة والصناعة والزراعة، ثم تنفضُّ بعد ذلك[٩٦]. والواضح أن الأختلاف في أنواع المحصولات والغلات قد ساعد على نشأة هذه الأسواق وتوسعها.والأسواق في الجزيرة العربية كثيرة ومتنوعة، منها ما هو دائم يستمر طوال العام ويقوم في المدن والقرى، ومنها ما هو موسمي يُقام في مواقع معلومة وأيام معلومة محددة، وهي على ضربين من حيث التوقيت، أحدها يقوم في الأشهر الحرم ولا يقوم في غيرها ما يجعل ارتيادها سهلاً وآمناً، والآخر لا يقوم في الأشهر الحرم ويقوم في غيرها. أما أمن الارتحال إليها فهو على نوعين:

الأول: وقوع السوق تحت حكم مملكة تفرض الأمن، وتلاحق المعتدين، وتمنعهم من التعدي، ففي هذه الحالة، لم يكن التجار بحاجة إلى حرّاس يرافقونهم ويمنعون الاعتداء عليهم.

الثاني: وقوع السوق في مناطق البادية حيث لا سلطة ولا حكومة، ففي هذه الحالة لا يصل إلى السوق أحد إلا بخفير، ولا يرجع إلا بخفير، لقاء جعل[٩٧].

أنظمة السوق.تمتَّعت الأسواق الموسمية في الجزيرة العربية بنظام الأمن والحماية،إن من قبل الدولة التي يقع السوق في نطاق حدودها مقابل ضرائب محدودة تجبيها من التجار الذين يفدون إلى السوق، أو من قبل خفراء، في حالة إقامة السوق في البادية حيث لا حكومة ولا سلطان، يستأجرهم التجار مقابل مبالغ من المال يدفعونها لهم.ويحدث أحياناً أن ينصِّب زعماء القبائل أنفسهم حكاماً على هذا النوع من الأسواق، فيجبون الضرائب والمكوس من التجار، كما كان يفعل الجلندي بن المستكبر في سوق صحار، وبنو تميم في سوق المشقَّر، وتتولى في أحيان أخرى طائفة من الفرسان العرب، بزعامة أحد بن تميم ويدعى صلصل بن أوس، الدفاع عن أمن السوق، وفرض النظام، ومنع اللصوص والمجرمين المحلِّيين من الصعاليك وغيرهم، من التعدي والسرقة وسفك الدماء، وقد بلغ ذلك مبلغاً في سوق عكاظ، جعل العرب يأخذو معهم أموالهم ونساءهم وصبيانهم إليه.واقتضت أصول المتاجرة في الأسواق بعامة، معرفة مصدر البضاعة ومنشئها وعلاماتها التجارية، والمعروف أن البضاعة المجهولة المصدر لم تلق قبولاً ولم يكن يشتريها أحد، كما كان يُمنع بيع السلع المسروقة ويعتقل عارضوها، وكان التجار على معرفة بعلامات القبائل التجارية وعلى علم بسندات التمليك والبيع والشراء، وبقيود المعاملات التجارية وحساباتها[٩٨].وشاع في الأسواق عدد

من البيوع التي طغى عليها الطابع الشكلي بحيث يفقد كل من المشتري والبائع حريته وإرادته في الأختيار، نذكر منها:**بيع المنابذة:** وهو متى نبذ البائع سلعته إلى المشتري وجب البيع.**بيع الملامسة:** وهو أن يتساوم المتبايعان على لزوم البيع إذا لمس المشتري سلعة البائع وإن لم ينظر في البضاعة.**البيع بطريقة الرمي بالحصاة:** وهو أن يُلقي المشتري حصاة على أثواب عدة مثلاً، فما أصابته كان مبيعاً بلا خيار للمشتري.**بيع السرار:** اختص به سوق عكاظ، وهو نوع من البيوع كان يتعامل به العرب، فإذا وجب البيع وعند التاجر عدد ممن يريد الشراء أو عدمه، فله الشركة في الربح.**البيع بحبس اليد.**

المبحث الثالث
الواقع التجاري للعرب

سأتناول في هذا المبحث ست مطالب أساسية تُشكل الواقع التجاري لتلك الحقبة من تاريخ العرب، أبدأها بما يلي:

المطلب الأول- الرحلات التجارية.

فأهل مكة لم يستطيعوا أن يتعاطوا الأشغال الزراعية بمقياس واسع لجدب تربتهم وشح مياههم، فاستعاضوا عنها بالضرب في مناكب الأرض، وشد الرحال للأسفار التجارية في الصيف والشتاء والبر والبحر، يتوسطون في نقل السلع ومبادلتها بين الأصقاع الجنوبية والشمالية والشرقية أي اليمن والشام والعراق وفارس ومصر والحبشة وسواحل أفريقية والهند من جهة، ويشترون ما تحتاج إليه بيئتهم من السلع والعروض من جهة ثانية، والذين لم يكونوا يرحلون كانوا يشاركون الراحلين، أو يستأجرون من يسافر لحسابهم ويتجر لهم، وكانت هذه الحركة غير قاصرة على الأغنياء، بل كان يساهم فيها المتوسطون أيضاً[٩٩].ولقد كانت وقعة بدر التي نزل فيها سورة الانفال وذكر اسمها في هذه الآية من سورة آل عمران:(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[١٠٠].بسبب قافلة تجارية لقريش كانت تمر في مكان قريب إلى المدينة اسمه بدر فقال النبي ﷺ للمسلمين هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم اخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها، فخرجوا إليها ولكنها نجت منهم واشتبكوا مع القوة القريشية التي جاءت من مكة للدفاع عنها حينما بلغ قريشاً خروج النبي ﷺ والمسلمين لأعتراض قافلتهم التجارية. وقد وصف القرآن القافلة بوصف غير ذات الشوكة في هذه الآية من سورة الأنفال:(وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)[١٠١].وقبل وقعة بدر كانت ست حركات جهادية للمسلمين في سنة واحدة لأعتراض قوافل قريش التجارية ثلاث منها بقيادة النبي ﷺ حيث يعني هذا أنه كان لقريش في سنة ونصف سبع قوافل تجارية عادية أو رائحة[١٠٢]. ولقد انطوت سورة قريش:(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ {١} إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ {٢} فَلْيَعْبُدُوا

رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ {٣} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ)[١٠٣].على ايجازها على تقرير كل ذلك وتوكيده حيث تذكر رحلات قريش التجارية والصيفية. وما كان من نشاطهم العظيم بسبيل اعداد هذه الرحلات والاستعداد لها.والآيات التي استدللنا بها على ما كان لأهل مكة من ثروات تلهم بطبيعة الحال أن هذه الثروات إنما توفرت لهم بفضل النشاط الاقتصادي الذي كانوا يقومون به، والذي كان يتمثل في الدرجة الأولى في الحركة التجارية الدائمة. والآيات التي أوردناها في صدد ذكر المنطقة الساحلية تدل كذلك على نشاط أهل مكة– لأنها مكية ولأن أول المخاطبين بها أهل مكة ولأن فيها ملهمات بأسفارهم البحرية بالذات – التجاري البحري، ومدى اتساع أفقهم في الأعمال والمجازفات التجارية.ولعل من مؤيدات اتساع هذا الأفق والنشاط التجاري البحري الهجرة الأولى التي قام بها المسلمون الأولون من مكة إلى الحبشة والتي أُشير إليها في آيتين من سورة النحل:(وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً.....)[١٠٤]،(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ.....).[١٠٥]فإنه ليس من المعقول أن يهاجر المكيون إلى بلد لم يكن معروفاً عندهم أو عند بعضهم. وهذه المعرفة تدل على أن هذه البلاد كانت من البلاد التي اتصل بها المكيون في أسفارهم التجارية البحرية.وهناك آيات تدل على أسفارهم إلى الجنوب حيث بلاد اليمن وحضرموت ومساكن عاد الأولى، وإلى الشمال حيث بلاد ثمود ولوط أي طريق الشام وبلاد الشام والبلقاء وفلسطين، فقد جاء في سورة الصافات:(وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ {١٣٣} إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ {١٣٤} إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ {١٣٥} ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ {١٣٦} وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ {١٣٧} وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[١٠٦].وخرائب بلاد لوط هي على ضفاف بحيرة لوط في غور أريحا قرب بيت المقدس وهي المشهورة بخرائب سدوم وعمورة، والتي مازالت موجودة حتى الآن. والخطاب في الآيات موجه إلى مخاطبين قريبين يمرون بهذه الأنحاء والمتبادر أنهم تجار قريش وقوافلها التجارية في ذهابها إلى البلقاء ففلسطين فمصر وعودتها منها.

وقد جاء في سورة العنكبوت:(وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ)[١٠٧].والآية كذلك موجهة إلى مخاطبين قريبين ذهبوا إلى مساكن عاد في أنحاء حضرموت جنوباً ومساكن ثمود في مداين صالح شمالاً. وهم تجار مكة وقوافلها على ما هو المتبادر.

هذا بالإضافة إلى آيات عديدة أخرى تلهم انها تخاطب أناساً يعرفون معرفة عيان ما يخاطبون به وبالتالي تلهم أن المخاطبين وهم المكيون في الدرجة الأولى قد زاروا الأماكن والآثار التي تضمنت الآيات الاشارة إليها كما ترى في المثلة الآتية:(فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ {٤٥} أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[١٠٨].

١. (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا)[١٠٩].

٢. (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[١١٠].

٣. (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ {٦} إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ {٧} الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ {٨} وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ {٩} وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ {١٠} الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ)[١١١].ويلفت النظر إلى مضامين الآيات حيث تلهم أن الأماكن المذكورة كانت في بلاد نائية عن مكة وكانت عامرة أو صالحة للعمران حيث كان فيها القصور المشيدة، والآثار العمرانية الكثيرة الدالة على القوة والبأس، والتي كانت تتفوق في عمرانها وقوتها على مدينة مكة تفوقاً كبيراً. ولعل في وصف فرعون بذي الأوتاد دلالة مشاهدة عيانية لمصر وأهراماتها التي يرجح أن الأوتاد قد عنتها. ولمصر وصف آخر هو من أوصافها الدائمة، ويلهم أنه مما شاهده المكيون المخاطبون كما ترى في هذه الآيات:

١. (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[١١٢].

٢. (فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ {٢٣} وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ {٢٤} كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {٢٥} وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ {٢٦} وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ)[١١٣].

المطلب الثاني- نشاط باقي المدن العربية.

وإذا كنا صرفنا ما تقدم من القول الى مكة وأهلها فلا يعني هذا أن المدن الحجازية الأخرى كانت في عزلة عن ذلك.فللموانيء من حركة البحر حافز ومرتزق طبيعيان لأهلها، ومما لا ريب فيه أن سكانها كانوا يقومون بالأسفار ويضربون في عرض البحار، وينتفعون بصيدها، ويستخرجون لآلئها وخيراتها، ويصلون بسفنهم الكبيرة والصغيرة الى الموانيء والثغور الأخرى في سواحل البحر الأحمر وغيره، يحملون منها وإليها السلع المتنوعة، ان لم نقل إنهم هم الذين كانوا الرئيسيين في هذه الحركات والنشاط.وإذا كانت الآيات المكية في اسفار البحر والتكسب فيها قد عنت أهل مكة فمن باب أولى أن يكون أهل موانيء الحجاز ممن شملتهم هذه الاشارات ودخلوا في نطاق النشاط الذي انطوى فيها.ويثرب والطائف وان كانتا في الأغلب تعيشان على غلات الأرض والبساتين والكروم، وكانت خصوبة التربة تغنيهم عن الضرب في مناكب الأرض ابتغاء الرزق بوجه الاجمال، فإن من تحصيل الحاصل أن يقال أن طبيعة كونهما مدينتين، وحولهما القرى والاعراب لابد من أن تجعل فيهما حركة تجارية، وإن يكون فيهما كثيرون قد تفرغوا للأعمال التجارية. ولقد وردت آيات مدنية عديدة فيها بعض الاوامر والنواهي والتشريعات مما يمكن ان يلهم

انه كان في المدينة حركة تجارية غير ضعيفة، ولا يرد أن تكون هذه الحركة أو القوة فيها قد وجدت بعد الهجرة النبوية كما لا يخفى. وإليك الآيات:

١. (.....وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا.....)[١١٤].

٢. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ.....)[١١٥].

٣. (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ.....)[١١٦].

٤. (رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ.....)[١١٧].

٥. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {٩} فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {١٠} وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)[١١٨].ولقد كانت المدينة كما قلنا طريق القوافل التجارية المكية، ومن المستبعد أن يبقى تجارها في غفلة عن الاسفار التجارية مثل أهل مكة: ولقد كان في المدينة كما قلنا جالية يهودية كبيرة، ومن المستبعد أن لم نقل من المستحيل أن لا تكون قد ضربت بسهم وافر في النشاط التجاري في الحجاز عامة وفي المدينة خاصة، وسواء كان بالرحلات التجارية أو في الاسواق المحلية والموسمية، ومن الراجح ان يكون العرب في المدينة قد سايروهم في نشاطهم هذا على اختلاف نواحيه ان لن نقل من المحقق.وشيء مما قلناه ينطبق في ما نعتقد على مدينة الطائف أيضاً، لا سيما وقد كانت هي الأخرى على طريق العراق واليمن التجارية، وكان أهلها على صلة وثيقة بأهل مكة ومنطقتها وأسواقها المحلية والموسمية بالنظر الى قرب المدينتين من بعضهما[١١٩].

المطلب الثالث- الربا.

ولعل مما يتناسب مع الكلام أن يذكر الربا؛ لأنه مظهر من مظاهر الحركة الاقتصادية والتجارية. ولقد وردت آيات عديدة يمكن الأستدلال بها على أن أهل مدن الحجاز العرب واليهود على السواء كانوا يتعاطونه، وعلى أنه كان راسخاً عندهم يعولون عليه تعويلاً كبيراً في تنمية ثرواتهم كما ترى في الآيات التالية:

١. (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا.....)[١٢٠].

٢. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {٢٧٨} فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ)[١٢١].

٣. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[١٢٢].

٤. (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا {١٦٠} وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ.....)[١٢٣].

٥. (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ.....)[١٢٤].وآية الروم مكية، فهي والحالة هذه موجهة الى أهل مكة خاصة، والآيات الأولى مدنية. غير أن من المروي أن آيات البقرة من أواخر ما نزل من القرآن وبعبارة أخرى قد نزلت بعد فتح المكي، فتكون الحملة التي تضمنتها موجهة ضد المرابين المكيين أيضاً. ومن المروي أن النبي (ﷺ) أعلن في حجة الوداع اسقاط ربا عمه العباس وكان من أغنياء وتجار مكة. على أن هذا لا يعني أن لا يكون أهل المدينة العرب قد تعاطوه كما نصت آية النساء بصراحة على تعاطي اليهود له، فهم واليهود في مدينة واحدة، ولا بد من أنهم اقتبسوه منهم بالاضافة الى كونه من مستلزمات الحركة الاقتصادية والتجارية التي لم يكونوا في عزلة عنها. وإلى هذا فإن آية آل عمران قد نزلت قبل الفتح المكي، والنهي فيها موجه الى المسلمين في المدينة بطبيعة الحال.وآية البقرة (٢٧٩) شديدة الإنذار، مما يدل على رسوخ الربا رسوخاً شديداً كما قلنا وعلى كونه يشغل حيزاً خطيراً من حياة المدن الحجازية الاقتصادية. وآيات البقرة وآل عمران الأخرى قوية أيضاً وتلهمان هذا كما هو المتبادر.

المطلب الرابع- النقد والذهب والفضة.

كذلك مما يتناسب مع الكلام أن يذكر النقد الذي كان دارجاً. وفي القرآن بعض الآيات في هذا الصدد:

١. (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا.....)[١٢٥].

٢. (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)[١٢٦].فورود اسمي النقدين الذهب والفض وهما الدينار والدرهم والمعروفين يقيناً إنهما اسمان لسكة مضروبة دارجة في بلاد الشام والعراق ومصر ولو في المعرض الذي جاءا فيه يجعل من السائغ الجزم بالاستدلال القرآني بأنهما كانا معروفين على هذا الوجه في عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة، وإنهما كانا دارجين فيها. ومن تحصيل الحاصل أن نقول إنهما لم يكونا اسمين لنقدين حجازيين مقتبسين

اقتباساً؛ لأنه لم يكن في الحجاز دولة لها سكة خاصة، وان الدارج في الحجاز إنما كان الدرهم والدينار الاجنبيين[١٢٧]، ولعل في هذا دلالة على مقدار ما كان من سعة الصلات التجارية بين الحجاز وبلاد الشام ومصر والعراق أيضاً. وليس من غير المحتمل أن يكون تجار الحجاز وأغنيائهم كانوا يستصنعون لحسابهم في دور الضرب العراقية والشامية الدراهم والدنانير، لا سيما والتاريخ الاسلامي يعلمنا أن هذه العادة كانت جارية في عهد الأمويين والعباسيين.

هذا ولقد ذكر الذهب والفضة في القرآن في مناسبات عديدة. منها ما جاء على سبيل الإشارة إليهما كثروة محببة محروص عليها وذلك في آية آل عمران (١٤) التي نقلناها سابقاً. ومنها الآية التالية:(.....وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[١٢٨].وقد جاء ذكرهما مراراً في معرض استعمالهما حلياً وأواني في الدنيا وفي الآخرة كما نرى في الآيات التالية:

١. (.....يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ.....)[١٢٩].
٢. (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ....)[١٣٠].
٣. (يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ.....)[١٣١].
٤. (وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ.....)[١٣٢].
٥. (.....وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ.....)[١٣٣].فهذا وذاك يدلان على أن أهل بيئة النبي ﷺ وعصره كانوا ينظرون الى هذين المعدنين كمقياس للثروة والغنى والترف، وكانا عندهم من المحبب والمحروص عليه شأنهم في ذلك شأن البيئات المجاورة أو بالأحرى البيئات المتحضرة في ذلك إطلاقاً.وهذا ينقض ما قاله بعض الكتاب من أن العرب لم يكونوا يعرفون الذهب أو كانت معرفتهم بالفضة اوسع من معرفتهم بالذهب كما هو ظاهر[١٣٤].

المطلب الخامس- الأعداد.

ولقد ذكر في القرآن أنواع الأعداد من مضاعفات وكسور، من أحاد وعشرات ومئات وألوف وعشرات الألوف ومئات الألوف، ومن نصف وثلث وربع وخمس وثلثين وسدس وثمن وعشر ومعشار، كما ترى في الآيات التالية:

١. (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ.....)[١٣٥].
٢. (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ.....)[١٣٦].
٣. (.....يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.....)[١٣٧].
٤. (.....كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ.....)[١٣٨].
٥. (.....قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ.....)[١٣٩].
٦. (.....أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ)[١٤٠].

٧. (.....فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ.....)[١٤١].

٨. (يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ.....)[١٤٢].

٩. (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُواْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ.....)[١٤٣].

١٠. (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ.....)[١٤٤].

١١. (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ.....)[١٤٥].

١٢. (.....إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا.....)[١٤٦].

١٣. (سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ.....)[١٤٧].

١٤. (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)[١٤٨].

١٥. (.....فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)[١٤٩].ونعتقد أن هذا منتهى ما كان معروفاً في العالم آنذاك، وفيه دلالة على سعة العمل والأفق والصلات، كما فيه نفض لما حاوله بعض الكتاب من تعميم جهل العرب لما فوق الألف بسبب رواية متهافتة في حد ذاتها[١٥٠].وفي الآيات التي نقلناها ما يلهم أن العرب كانوا يعرفون الأعمال الحسابية من ضرب وقسمة وجمع وطرح إذا ما أنعم النظر فيها وخاصة في ما جاء في صدد الإرث.

المطلب السادس- المكاييل والأوزان.

اما المكاييل والأوزان التي كانت مستعملة في عمليات البيع والشراء في بيئة النبي ﷺ وعصره – وعلاقتها بالحركة التجارية معروفة – فإن القرآن لم يذكر منها بالتعيين إلا القنطار والذراع على غموض في مقدارهما كما جاء في آيتي آل عمران . وآية سورة الحاقة التالية: «ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ»[١٥١].وقد ذكر الميزان والكيل والقسطاس في مناسبات أكثرها جاء في معرض الحث على الأمانة والاستقامة في الوزن والكيل كما ترى في الآيات التالية:

١. (.....وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ.....)[١٥٢].

٢. (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ.....)[١٥٣].
٣. (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)[١٥٤].
٤. (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ {١} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ {٢} وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)[١٥٥].وتدل هذه الآيات على أنه كان في بيئة النبي ﷺ وعصره مكاييل وموازيين متنوعة وإن لم يمكن الاستدلال على مقاديرها وأنواعها بالتحديد، وأنه كانت موازين غير مضبوطة وأخرى مضبوطة، وأنه كانت تجري أثناء استعمال الموازين والمكاييل حيل معروفة ومشهودة[١٥٦]. ولعلنا لا تنجوز إذا قلنا إن تكرار التوصية القرآنية يدل من ناحية ما على فشو هذه الحيل في الأوساط التجارية، وعلى سعة الحركة التجارية نفسها أيضاً. ومن آيات في سورة القارعة:(فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ {٦} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ {٧} وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ {٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ)[١٥٧].يستلهم أن أساس الميزان عند العرب هو الكفتان كما هو المتعارف في كل مكان وزمان. وقد تعددت الآيات المماثلة في معناها لهذه الآيات فأكتفينا بالذي نقلناه.

الخاتمة

في ختام هذا البحث اود ايجاز ماتوصلت اليه بالاتي:

١. ان العرب هم سكان المنطقة الواسعة الذين أعطوها اسمهم فصارت تُعرف ببلاد العرب.
٢. انهم كانوا اهل حضارة ولهذا اختار الحق جل وعلا ان تختم الرسالة الالهية بهم.
٣. ان للعرب معايش مختلفة اقتصر البحث على ذكر بعض منها وهي الزراعة والصناعة والاسواق الى غيرها الكثير.
٤. كان من نماذج واقع العرب الاقتصادي انهم كانوا اهل تجارة تجاوزت حدود المنطقة العربية لتصل الى الصين.
٥. والربا كان ميزة ذلك النظام الاقتصادي انذاك ولذلك حرمه الحق جل وعلا واذن على من تعامل فيه باعلان الحرب عليه.
٦. ان ذلك الزمن تميز بمعرف كانت تصب بنجاح الواقع الاقتصادي انذاك منها معرفتهم الواسعة بالمكاييل والموازين ومنها معرفتهم بالاعداد والكسور ومنها معرفتهم بالنقود الذهبية والفضية الى غيرها من معرف.

هوامش البحث

(١) سورة الزخرف، الآية (٤٤).
(٢) تشمل بلاد العرب، من واقع هذه الدراسة، الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام.

[٣] ينظر: البلاذري الامام ابو الحسن، أنساب الأشراف، ج١ ص١٠، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

[٤] ينظر: الأصمعي عبد الملك بن قريب، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٨، تحقيق: الشيخ محمد ال ياسين، بغداد ١٩٥٩م.

[٥] ينظر: ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لســـان العـــرب، ج١ ص٥٨٦، دار صادر بيروت.

[٦] ينظر: المصدر السابق، ج١ ص٥٨٧.

[٧] لويس برنارد: العرب في التاريخ، تعريب نبيه امين، ومحمود زايد، بيروت ١٩٥٤م، ص٩.

[٨] سورة يوسف، الآية (٢).

[٩] سورة الرعد، الآية (٣٧).

[١٠] سورة إبراهيم، الآية (٤).

[١١] سورة الشعراء، الآية (١٩٣-١٩٥).

[١٢] سورة فصلت، الآية (٣).

[١٣] سورة الشورى، الآية (٧).

[١٤] سورة الدخان، الآية (٥٨).

[١٥] سورة البقرة، الآية (١٤٣).

[١٦] سورة الانعام، الآية (٦٦).

[١٧] سورة ابراهيم، الآية (٤).

[١٨] سورة الزخرف، الآية (٤٤).

[١٩] سورة النحل، الآية (١٠٣).

[٢٠] سورة البقرة، الآيات (١٢٥-١٢٩).

[٢١] سورة الحج، الآية (٧٨).

[٢٢] سورة الانعام، الآيات (٨٤-٨٦).

[٢٣] سورة مريم، الآيات (٤٩-٥٥).

[٢٤] سورة الانبياء، الآية (٧٢).

[٢٥] سورة العنكبوت، الآية (٢٧).

[٢٦] سورة ص، الآيات (٤٥-٤٨).

[٢٧] سورة ابراهيم، الآيات (٣٥-٣٩).

(٢٨) ينظر: الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج١ ص٦١٨، ٦٢٦، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف مصر١٩٦٠م.

(٢٩) ينظر: فروخ عمر، تاريخ الجاهلية، ص٥٥، بيروت ١٩٦٤م.

(٣٠) ينظر: ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر وديوان المبتدأ والخبر" ج٢ ص١٨، ١٩، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩م.

(٣١) ينظر:الطبري، ج١ ص٦٢٦.

(٣٢) فروخ: ص٤٤.

(٣٣) سفر التكوين: الإصحاح ١٠، الآية ٢٤-٣٠.

(٣٤) ينظر: ابن خلدون: ج٢ ص٤٦، ٤٧.

(٣٥) ينظر: المصدر السابق، ج٢ ص١٥، ١٦.

(٣٦) ينظر: معطي علي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ص٩٦، دار المنهل اللبناني، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

(٣٧) سورة الحج، الآية (٧٨).

(٣٨) ينظر: معطي علي: ج١ ص٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٥، ٤٢٢.

(٣٩) ينظر: المرجع السابق، ص٣٦٤.

(٤٠) ينظر: علي معطي: ص١٢٠، ١٢١.

(٤١) سورة البقرة، الآية (٦١).

(٤٢) سورة البقرة، الآية (٢٦١).

(٤٣) سورة البقرة، الآية (٢٦٥)، فالأرض الجيدة التربة تؤتي أكلها أن أصابها وابل أو أصابها طل:

(٤٤) سورة البقرة، الآية (٢٦٤)، صفوان: صخر. صلداً: قاسياً، أي أن الوابل يجرف التراب القليل الذي يكون على الأرض الصخرية فلا يكون له نفع.

(٤٥) سورة البقرة، الآية (٢٦٦).

(٤٦) سورة الكهف، الآيتان (٣٢-٣٣)، وبعض المفسرين رووا إن هذا المثل الحادث واقعي

(٤٧) في إبن هشام ج٢ ص٣٠ ذكر لرجل من العراق اسمه عداس كان خادماً في بستان لأحد زعماء الطائف. ونحن لا نستبعد أن يكون خبيراً زراعياً جلب أو أشترى خصيصاً كما نرجح

(٤٨) ينظر: العسقلاني: الحافظ شهاب الدين، المعروف بابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: ج٧ ص٤٠٨، ٤٠٩، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٩م.

(٤٩) ينظر:المصدر السابق.

(٥٠) ينظر:ابن منظور، ج١٤ ص٣٩٤.

(٥١) المصدر السابق، ج٥ ص١٠١.

(٥٢) المصدر السابق، ج٤ ص٢٤٨.

(٥٣) أدَّى تواتر النزاعات إلى العصر الإسلامي أن نهى النبي ﷺ عن بيع المحصول قبل أن ينضج إلا بعد أن يتبين صلاحه، وعندئذٍ لا يحق للشاري أن يتذمر من شرائه.

(٥٤) سورة النساء، الآية (١٠٢).

(٥٥) سورة المائدة، الآية (٩٤).

(٥٦) سورة المائدة، الآية (١١٤).

(٥٧) سورة الانعام، الآية (٧).

(٥٨) سورة الأعراف، الآية (٤٠).

(٥٩) سورة الأعراف، الآية (٧٤).

(٦٠) سورة يوسف، الآية (١٨).

(٦١) سورة يوسف، الآية (٣١).

(٦٢) سورة النحل، الآية (٢٦).

(٦٣) سورة النحل، الآية (٦٧).

(٦٤) سورة النحل، الآية (٨٠).

(٦٥) سورة النحل، الآية (٨١)، البأس بمعنى الحرب والغالب ان القصد من (سَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ) الدروع والمغافر التي كانوا يلبسونها على اجسادهم ورؤوسهم للتوقي من ضربات السيوف وطعنات الرماح.

(٦٦) سورة الكهف، الآية (٣١).

(٦٧) سورة طه، الآية (١٢).

(٦٨) سورة الحج، الآية (١٩).

(٦٩) سورة الحج، الآية (٤٥).

(٧٠) سورة الحج، الآية (٢٣).

(٧١) سورة النور، الآية (٣٥).

(٧٢) سورة النور، الآية (٣١).

(٧٣) سورة النور، الآية (٦٠).

(٧٤) سورة النمل، الآية (٣٨).

(٧٥) سورة لقمان، الآية (٢٧).

(٧٦) سورة الاحزاب، الآية (٥٩).

(٧٧) سورة سبأ، الآية (١١).

(٧٨) سورة سبأ، الآية (١٣)، جفان جمع جفنة: وهي قصعة الطعام الكبيرة. والجواب: جمع جابية وهي البئر الصغيرة والقدور جمع قدر.

(٧٩) سورة الزمر، الآية (٢٠).

(٨٠) سورة غافر، الآية (٧١).

(٨١) سورة الزخرف، الآيتان (٣٣-٣٤)، المعارج: السلالم أو الأدراج.

(٨٢) سورة الزخرف، الآية (٧١).

(٨٣) سورة الفتح، الآية (٢٧).

(٨٤) سورة الحجرات، الآية (٤).

(٨٥) سورة الطور، الآيات (١-٥).

(٨٦) سورة الرحمن، الآية (١٤).

(٨٧) سورة الرحمن، الآية (٢٢).

(٨٨) سورة الرحمن، الآية (٢٤).

(٨٩) سورة الرحمن، الآية (٣٥).

(٩٠) سورة الرحمن، الآية (٥٤).

(٩١) سورة الرحمن، الآية (٥٨).

(٩٢) ينظر: معطي علي، ١٤٤.

(٩٣) المصدر نفسه، ١٥٨.

(٩٤) الحموي شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، ٩/٤، دار صادر بيروت ١٩٧٩م.

(٩٥) ينظر: الأزرقي أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد، اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج١ ص١٨٧، ١٨٨، تحقيق رشدي الصالح، دار الاندلس بيروت، ط١، ١٩٦٩م.

(٩٦) ينظر: معطي علي، ص٢٣٥.

(٩٧) ينظر: المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني: الأزمنة والأمكنة، ج٢ ص١٦١، ١٦٢، حيدر اباد الهند، ١٣٣٢ه.

(٩٨) ينظر: معطي علي، ص٢٤٨.

(٩٩) ينظر: سيرة ابن هشام (ج١ ص١٨٧-١٨٨).

(١٠٠) سورة آل عمران، الآية (١٣٣).

(١٠١) سورة النفال، الآية (٧).

(١٠٢) ينظر: ابن هشام ج٢ ص٢٤٣ وبعدها.

[١٠٣] سورة قريش.

[١٠٤] سورة النحل، الآية (٤١).

[١٠٥] سورة النحل، الآية (١١٠).

[١٠٦] سورة الصافات، الآيات (١٣٣-١٣٨).

[١٠٧] سورة العنكبوت، الآية (٣٨).

[١٠٨] سورة الحج، الآيتين (٤٥-٤٧).

[١٠٩] سورة الفرقان، الآية (٤٠)، المقصود منها خرائب بلاد لوط أيضاً التي كان المكيون يشاهدونها في رحلاتهم.

[١١٠] سورة الروم، الآية (٩).

[١١١] سورة الفجر، الآيات (٦-١١).

[١١٢] سورة الزخرف، الآية (٥١).

[١١٣] سورة الدخان، الآيات (٢٣-٢٧).

[١١٤] سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

[١١٥] سورة النساء، الآية (٢٩).

[١١٦] سورة التوبة، الآية (٢٤).

[١١٧] سورة النور، الآية (٣٧).

[١١٨] سورة الجمعة، الآيات (٩-١١).

[١١٩] مما ذكرته الروايات من ذلك أنه كان سوق تجارية عامة قرب الطائف تعرف بسوق حباشة وكانت الطائف مشهورة بزبيبها وتمرها وجلودها المدبوغة فكان تجارها يحملونها الى بلاد الشام واليمن والحبشة. وكان يقام في بدر القريبة الى يثرب سوق تجارية عامة كما كان يقام سوق تجارية عامة في يثرب نفسها في سوق بني قينقاع. ينظر: تاريخ العرب قبل الاسلام: جواد علي: ج٥ ص٢٥٢ وبعدها.

[١٢٠] سورة البقرة، الآية (٢٧٥).

[١٢١] سورة البقرة، الآيتين (٢٧٨-٢٧٩).

[١٢٢] سورة آل عمران، الآية (١٣٠).

[١٢٣] سورة النساء، الآيتين (١٦٠-١٦١).

[١٢٤] سورة الروم، الآية (٣٩).

[١٢٥] سورة آل عمران، الآية (٧٥).

[١٢٦] سورة يوسف، الآية (٢٠).

(١٢٧) ظلت العملة الذهبية والفضية الفارسية والرومية هي الدارجة في دولة الاسلام بإسم دنانير ودراهم في زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين وشطر من الدولة الأموية استمراراً لما كان الأمر عليه قبل البعثة. ولم تضرب سكة عربية إسلامية خالصة إلا في زمن الدولة الأموية. وقد أمر عمر بن الخطاب ﷺ بنقش كلمات إسلامية على لدنانير والدراهم الرومية والفارسية، ينظر تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان. وهناك رواية تذكر أن بدء ضرب السكة العربية الاسلامية كان في عهد خلافة علي ﷺ.

(١٢٨) سورة التوبة، الآية (٣٤).

(١٢٩) سورة الكهف، الآية (٣١).

(١٣٠) سورة الزخرف، الآية (٥٣).

(١٣١) سورة الزخرف، الآية (٧١).

(١٣٢) سورة الإنسان، الآية (١٥).

(١٣٣) سورة الإنسان، الآية (٢١).

(١٣٤) من المناجم المعروفة منذ القديم في الحجاز وتهامة مناجم ذهب بحران والبرم والبرام وبيشة وتياس والحراضة والمروه ومنضح والنقرة (رسالة معادن بلاد العرب لرشدي صالح ملحس).

(١٣٥) سورة البقرة، الآية (٢٢٦).

(١٣٦) سورة البقرة، الآية (٢٢٨).

(١٣٧) سورة البقرة، الآية (٢٣٤).

(١٣٨) سورة البقرة، الآية (٢٦١).

(١٣٩) سورة البقرة، الآية (٢٥٩).

(١٤٠) سورة آل عمران، الآية (١٢٤).

(١٤١) سورة النساء، الآية (٣).

(١٤٢) سورة النساء، الآية (١١).

(١٤٣) سورة النساء، الآية (١٢).

(١٤٤) سورة المائدة، الآية (٢٦).

(١٤٥) سورة الانفال، الآية (٤١).

(١٤٦) سورة الانفال، الآية (٦٥).

(١٤٧) سورة الكهف، الآية (٢٢).

(١٤٨) سورة الصافات، الآية (١٤٧).

(١٤٩) سورة المعارج، الآية (٤).

(١٥٠) الرواية هي أن واحداً من المسلمين سمع النبي ﷺ يبشر بفتح العراق فاستوهبه بنت عظيم الحيرة وكانت مشهورة بالجمال فوهبها له. فلما فتحت الحيرة جاء الرجل الى القائد وأشهد على هبة النبي ﷺ فنفذ القائد الهبة. ولما دخل الرجل عليها وجدها عجوزاً فقالت له وما تريد من عجوز فدعني أشتر نفسي فوافق فقالت له أطلب ما تريد، فقال الف درهم فنقدت له ولما خرج لأمه رفاقه فقال ما عملت فوق الألف شيئاً. مع أن الرجل يبدو أنه قد ساح وتقلب في مختلف البلاد، وربما كان تاجراً، كما أن القرآن المكي قد أحتوى ذكراً للخمسين ألفاً وللمائة الف ولا يعقل أن لا يكون الرجل قد علم ذلك، والرواية مروية عن العهد المدني. هذا بالإضافة الى وهن التعميم؛ لأن الرواية نفسها تذكر أن رفاق الرجل لاموه أي إنهم لم يكونوا يجهلون لما فوق الألف.

(١٥١) سورة الحاقة، الآية (٣٢).

(١٥٢) سورة الأنعام، الآية (١٥٢).

(١٥٣) سورة الاسراء، الآية (٣٥).

(١٥٤) سورة الرحمن، الآية (٩).

(١٥٥) سورة المطففين، الآيات (١-٣).

(١٥٦) هذه هي المقاييس التي روت الروايات استعمالها قبل البعثة: القنطار ووزنه ٤٠ أوقية. والأوقية ووزنها أربعون درهماً. والرطل وهو جزء واحد من المائة من القنطار. والمُنَّ وهو رطلان وهذه أوزان. وهناك الصاع لما يكال وهو سعة أربعة أمداد. والمد وهو ملء كفي الرجل. والقسط ويسع نصف صاع. والفرق ويسع ستة أقساط. والوسق وهو ستون صاعاً. والقفيز وهو عشرون صاعاً.

(١٥٧) سورة القارعة، الآيات (٦-٩).

قائمة المصادر والمراجع

- **القران الكريم.**
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى بالعبر وديوان المبتدأ والخبر" ج٢ مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
- ابن منظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١ ص٥٨٦، دار صادر بيروت.
- الأزرقي أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد، اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج١، تحقيق: رشدي الصالح، دار الاندلس بيروت، ط١، ١٩٦٩م.

- الأصمعي عبد الملك بن قريب، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٨، تحقيق الشيخ محمد ال ياسين، بغداد ١٩٥٩م.
- البلاذري الامام ابو الحسن، أنساب الأشراف، ج١ ص١٠، تحقيق: سهيل زكار وريياض زركلي، دار الفكر بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- الحموي شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، ٩/٤، دار صادر بيروت ١٩٧٩م.
- سفر التكوين: الإصحاح ١٠، الآية ٢٤-٣٠.
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج١ ص٦١٨، ٦٢٦، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف مصر١٩٦٠م.
- العسقلاني: الحافظ شهاب الدين، المعروف بابن حجر: فتح الباري بشرح البخاري: ج٧، مطبعة
- فروخ عمر، تاريخ الجاهلية، ص٥٥، بيروت، ١٩٦٤م.
- لويس برنارد: العرب في التاريخ، تعريب نبيه امين، ومحمود زايد، بيروت ١٩٥٤م.
- المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني: الأزمنة والأمكنة، ج٢ ص١٦١، ١٦٢،
- معطي علي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ص٩٦، دار المنهل اللبناني، بيروت ط١، ٢٠٠٤م.